

مختصر ابن كثير

42 - وأقسموا بما جهد أيما نهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدي من إحدى الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورا .

- 43 - استكبارا في الأرض ومكر السيء ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة إلا تبديلا ولن تجد لسنة إلا تحويلا .

يخبر تعالى عن قريش والعرب أنهم أقسموا بما { جهد أيما نهم } قبل إرسال الرسول إليهم { لئن جاءهم نذير ليكونن أهدي من إحدى الأمم } أي من جميع الأمم الذين أرسل إليهم الرسل قوله تعالى : { أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكننا أهدي منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة } وكقوله تعالى : { وإن كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكرا من الأولين لكننا عباد الله المخلصين . فكفروا به فسوف يعلمون } قال الله تعالى : { فلما جاءهم نذير } وهو محمد صلى الله عليه وسلم بما أنزل معه من الكتاب العظيم وهو القرآن المبين { ما زادهم إلا نفورا } أي ما زادوا إلا كفرا إلى كفرهم ثم بين ذلك بقوله : { استكبارا في الأرض } أي استكبروا عن اتباع آيات الله { ومكر السيء } أي ومكروا بالناس في صدهم إياهم عن سبل الله { ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله } أي وما يعود وبالذلك إلا عليهم أنفسهم دون غيرهم قال محمد بن كعب القرطي : ثلاث من فعلهن لم ينج حتى ينزل به من مكر أو بغي أو نكث وتصديقها في كتاب الله تعالى : { ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله } { إنما بغيكم على أنفسكم } { فمن نكث فإنما ينكث على نفسه } وقوله الله : { فهل ينظرون إلا سنة الأولين } يعني عقوبة الله لهم على تكذيبهم رسليه ومخالفتهم أمره { فلن تجد لسنة إلا تبديلا } أي لا تغير ولا تبدل بل هي جارية كذلك في كل مكذب { ولن تجد لسنة إلا تحويلا } أي { وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له } ولا يكشف ذلك عنهم ولا يتولهم عنهم أحد والله أعلم